بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله .

**﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾**(١)

**﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾**(٢) .

**﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾**(٣) (٤)

أما بعـــد : ـ

فى زمن اقشعرت الأرض فيه ، وأظلمت السماء ، وظهر الفساد فى البر والبحر من ظلم الفجرة ، وذهبت البركات ، وقلت الخيرات ، وهزلت الوحوش ، وتكدرت الحياة من فسق الظلمة ، وبكى ضوء النهار وظلمة الليل من الأعمال الخبيثة والأفعال الفظيعة ، وشكا الكرام الكاتبون والمعقبات إلى ربهم من كثرة الفواحش ، وغلبة المنكرات والقبائح ، وهذا والله منذر بسيل عذاب قد انعقد غمامه ومؤذن بليل بلاء قد أدلهم ظلامه(٥) .

---

(١) آل عمران الآية رقم ١٠٢ .

(٢) النساء الآية رقم (١) .

(٣) الأحزاب الآيتان رقم ٧٠ ، ٧١ .

(٤) خطبة الحاجة وهى التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبدأ بها خطبة وقد جمع طرق أحاديثها محدث ديار الشام الشيخ الألبانى فى رسالة قصيرة .

(٥) الفوائد لابن قيم الجوزية .

يا لهفتا على زمان يلتمس فيه الصالحون فلا يوجد منهم أحد إلا كالسنبلة إثر الحاصد[1]

قال رسول الله ﷺ : « **إنما الناس كإبل مائة ، لا تكاد تجد فيها راحلة** »[2] .

زماننا لاح للعاقل تغيره ولاح للبيب تبدله ، يبس ضرعه بعد الغزارة ، وذبل فرعه بعد النضارة ، ونحل عوده بعد الرطوبة ، وبشع مذاقه بعد العذوبة[3] .

ولما عز الناصح ، وأصبح الناس شوكا لا ثمر فيه ، وخلت الديار ـ أو كادت ـ من العلماء ولا يكون العيش إلا معهم .. تشبهنا بالغرباء ـ ولسنا منهم ـ وسمعنا كلام الملك العلاّم ـ وكلام الملوك ملوك الكلام

**﴿ فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد فى الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم ، واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ﴾**[4] .

**ولاح لنا الزاد .**

نورانى المخبر ، من درب هو ينبوع الشعاع ، هو المنهل العذب الروى الذى لا تكدره الدلاء .. منهل السلف ـ ويا بُعد ما بيننا وبينهم

وأصبح أهل زماننا وقد حجبوا عن معرفة مقادير السلف وعمق علومهم وقلة تكلفهم وكمال بصائرهم . وأنّى لهم معرفة الرعيل الأول وقد كانت هممهم مشمرة إلى المطالب العالية فى كل شىء ، فالمتأخرون فى شأن ، والقوم فى شأن

---

(١) من كلام أبى حازم الأعرج .

(٢) أخرجه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجة وأحمد فى مسنده . انظر صحيح الجامع الصغير رقم ٢٣٢٨ جـ٢ ص ٢٨١ للشيخ الألبانى طبع المكتب الإسلامى .

(٣) « روضة العقلاء ونزهة الفضلاء » .

(٤) هود الآية رقم ١١٦ .

آخر ، وقد جعل الله لكل شيء قدرا[1]

أنّى لنا بلحاق قوم لسان حالهم يقول : ـ

تركنا البحار الزاخرات وراءنا    فمن أين يدرى الناس أين توجهنا ؟

وحسبنا أن نكون على جادتهم ، وإن أبطأ بنا السير فإن أمير القوم يرعى القافلة .

وتطفلا منا على مائدة كرمهم سلكنا طريق السلف فى عباراتهم ونسجنا على منوالهم لعلى أن أنظم فى سلكهم ، وأدخل فى عدادهم ، وأحشر فى زمرتهم ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

وبالسلفية إعجابنا    إذا قلّ بالسلف المعجب

أكثرنا فى نقل تراجمهم كما سيتضح لك فى جمعنا هذا وذكر كلامهم لماذا ؟

لأن رجال السلف كانوا سادة الدنيا وملوك الآخرة ..

ملكوا الدنيا بصدقهم وإخلاصهم وعلوّ همتهم وعبادتهم

شعلة الماء التى من زمزم    قيصر يعنو لها كالخدم

هى تسمو للثريا بالثرى    وتعى القطرة منها أبحرا[2]

كانوا جبالا فى العلم والعمل لسان حالهم لمن بعدهم يقول :

كنا جبالا فى الجبال وربما    سرنا على موج البحار بحارا

هم الرجال ولا رجال غيرهم طابت بهم الدنيا

حدِّث عن القوم فالألفاظ ساجدة

خلف المحاريب والأوزان تبتهلُ

---

(١) شرح الطحاوية .

(٢) ديوان « الأسرار والرموز » للشاعر محمد إقبال ص ٨ .

لسان حالهم يصوت بنا :

أنت تـــدرى أيها الحيران عـــنّـــا
كـيـف فـوق الشـمـس أزمـانـا حللـنـا[1]

لقد بذلوا المجهود من أنفسهم وحفظوا دين الله ، حملوه ملء الحنايا .. فلم نقدره حق قدره لسان حالهم يقول :

غـزلت لهم غـزلا دقـيـقـا فـلم أجـد
لـغـزلى نسّـاجـا فكسرت مـغـزلى

وضعنا منذ أن بعدنا عنهم

وكـنـا عـظـاما ، فصرنا عظاما وكـنـا نـقـوتُ فـهـا نحن قـوتْ

والشرف كل الشرف السير فى ركابهم .. اقصد البحر وخلّ القنوات

أيها السـاعـى لـكـحـل المقـل غـافلا عـمّا بـه من كحل[2]

إليهم فقد صوّت حاديهم بنا ... « منازل من تهوى رويدك فانزلِ » لم البعد عن طريقهم وقد عرفت ما فى البعد

صرت يـا إكسير تـربـا سـافلا يا وليد النور صرت الباطلا[3]

نعم كانوا زينة الدنيا وبهجتها

أزاهيرهـم مـؤمـنـات الـتعـبير وأطـيـارهـم قـانـتـات الـزجـلْ
وأنهارهـم مـن ضـفـاف المتاب تحدّرْنَ بـالـنـدم المشـتـعـلْ[4]

واشوقاه إليهم :

---

(١) الرقائق لمحمد أحمد الراشد ص ١٣٩ طبع مؤسسة الرسالة .
(٢ ، ٣) ديوان « الأسرار والرموز » .
(٤) ديوان « قاب قوسين » للشاعر محمود حسن إسماعيل .

محت بعدكم تلك العيون دموعها فهل من عيون بعدها نستعيرها
رحلنا وفى سر الفؤاد ضمائر إذا هبّ نجدىّ الصبا يستثيرها
أتنسى رياض الغور بعد فراقها وقد أخذ الميثاق منك غديرها
أعد ذكرهم فهو الشفاء وربما شفى النفس أمر ثم عاد يضيرها
سقى الله أياما مضت ولياليا تضوّع ريّاها وفاح عبيرها

**أما كلامهم :**

كلام السلف قليل كثير البركة وكلام غيرهم كثير قليل البركة

قليل منك يكفينى ولكن قليلك لا يقال له قليل

إن للكلمات التى تنفرج عنها شفاههم مذاقا فريدا سلاسة وألقا وإشراقا وتجربة مفعمة

إن كانوا فى صمتهم أبين ممّن نطقوا فكيف بنطقهم ؟ ! !

قطرات ندى وعبير لا يفنيه مدى

كلمات تهب النبع لصادٍ وردا

ورحاب حملتها الكلمات الحسنى .. بجناح من نور أسنى تصل الخلد .. تضىء الروح .. تمد يدا

يصدق فيها قول الشاعر :

أتاك حديث لا يمل سماعه شهى إلينا نثره ونظامه
إذا ذكرته النفس زال عناؤها وزال عن القلب المعنّى ظلامه

وقولهم يهتف بنا « نحن أولى بالرقائق من غيرنا هذى بضاعتنا رُدَّتْ إلينا » :

فاسمع هُديتُ علومنا عز سالكها
على البيان ولا يغررك ذو لسن
قصد إلى الحق لا تخفى شواهدها

قـامت حـقـائـقـهـا بـالأصـل والـفـتـنِ

قال يحيى بن معاذ « أحسن شيء : كلام رقيق ، يستخرج من بحر عميق على لسان رجل رفيق »[1]

وستعلم كم من الرفق كانت تحمله قلوب سلفنا فخلدت كلماتهم معلنة عمالها من الإتصال بسند الحق .

ولن تخلد الكلمة على الأجيال إلا إن اتصلت بالحق والخير وكان لها من قوانين الله فى خلقه سند ، ومن إلهامه لعباده مدد »[2] سيماهم فى كلامهم ... مثلما هى فى وجوههم ولذا جمعت من مواعظ السلف الذين تبتلوا لله ما هو « محرك للقلوب إلى أجل مطلوب ، وحاد للنفوس إلى مجاورة الملك القدوس ، وحقيق على فوائده أن يعض عليها بالنواجذ وتثنى عليها الخناصر وهو ممتع لقاريه ، مشوق للنظر فيه »[3] ولأن من بركة الكلام عزوه إلى قائله .. فقد نسبناه قدر الطاقة إلى مصدره وصاحبه من رجال سلفنا ولقد أضفت إلى كلمات سلفنا كلمات لفقيد الإسلام الشيخ سيد قطب تقبله الله عنده فى عداد الشهداء فإنه كما وصفه الأستاذ الندوى ـ ( من فتوح الإسلام الجديدة )[4] وأضيف إليها من كلام القشيرى صاحب الرسالة القشيرية[5] ما هو موافق للكتاب والسنة فإن الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها التقطها .. وكما يقول ابن القيم رحمه الله « البصير الصادق يضرب من كل غنيمة بسهم ويعاشر كل طائفة على أحسن ما معها »[6]

(١) تاريخ بغداد ٢٠٩/١٤ .

(٢) الشوارد لعبد الوهاب عزام ص ٣٤٠ .

(٣) من كلام ابن القيم فى مقدمة « حادى الأرواح » .

(٤) مذكرات سائح فى العالم العربى ص ٩٠ .

(٥) عبد الكريم القشيرى : علم من أعلام التصوف ، أشعرى العقيدة وله « الرسالة القشيرية » وهى من كتب التصوف الشهيرة واحتوت على كثير من الغث وقلّ جيد الكلام فيها .

(٦) مدارج السالكين ٣٩/٢ ، ٣٧٠ .

وأكثرت من ذكر الشعر ـ والحمد لله أنّ لنا سلف فى ذلك ـ ليرسخ المعنى ويطول تأمله وتذكره وربّ شعر يرتاع منه الكلام ..

طائر أنت على دوحتنا شدوه واللحن من نغمتنا
إن تكن ذا نغمة لا تُفرد بسوى بستاننا لا تُغرد[1]

ولقد اقتصرت على الصحيح والحسن من الأحاديث التى صححها السابقون من الحفاظ أو رجال الحديث فى عصرنا كالشيخ الألبانى حفظه الله وأكثرت فى نقل تخريجه بارك الله فيه وأفسح الله فى عمره .

فيا أيها الناظر فى جمعى هذا لك غنمه وعلىّ غرمه ، لك صفوه وعلىّ كدره .

اللهم اجعله خالصا لوجهك الكريم فما كان لك يا مولاى سيبقى وما كان لغيرك يضمحل ويفنى

لا كان من لسواك منه قلبه
ولك اللسان مع الوداد الكاذبِ

وأختم مقدمتى بقول ابن الجوزى رحمه الله « إلهى لا تعذب لسانا يخبر عنك ، ولا عينا تنظر إلى علوم تدل عليك ، ولا قدما تمشى فى خدمتك ، ولا يدًا تكتب حديث رسولك ﷺ ، فبعزتك لا تدخلنى النار فقد علم أهلُها أنى كنت أذب عن دينك . اللهم بلغنى آمالى من العلم والعمل وأطل عمرى لأبلغ « ما » أحب من ذلك.» .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى رحمة ربه

**أبو التراب : السيد بن حسين بن عبد الله العفانى**

بنى عفان ـ بنى سويف ـ مصر

---

(١) الأسرار والرموز .